مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 10 عدد: 5 السنة: 2021
ص: 773 - 788 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

القضية الفلسطينية في شعر عبد الرحمن العشماوي

The Palestinian Issue in the Poetry of Abd al-Rahman al-Ashmawi

لونانسة لبنى[1]*، أ.د.زرمان محمد[2]

Lounansa Loubna [1], Zermane Mohamed[2]

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة .

جامعة باتنة 1- الحاج لخضر(الجزائر)

University of Batna 1 Hadj Lakhdar(Algeria)

loubnalounansa@gmail.com [1] / zeroum59@gmail.com[2]

تاريخ الإرسال:2020/11/09	تاريخ القبول:2021/07/05	تاريخ النشر: 2021/12/25

مُلخّص البحث

القضيّة الفلسطينيّة هي عنوانٌ للصُّمود والمقاومة ... التمرّد والثورة، هيّ تجسيدٌ لكلّ متعلّقات الرّفض وزئير التّحرُّر الثّائِر في وجه الاستيطان، بل في وجه العالم المستبدِّ الخائن لقضِيّة الإنسان وقضية الوطن، الهويّة والعروبة. إنّها أرض الأنبياء مهد الرّسالات، فلسطين الأبيّة الجريحة.

وهذا ما تهدف له هذه الورقة البحثيَّة، من خلال تتبّع القضية الفلسطينيّة وتجلّياتها في الشِّعر العربي المعاصر بعامّة، والشعر السّعودي بخاصة، معتمدين على شعر عبد الرحمن العشماوي، وقد توصّلنا من خلال مقاربتنا النّقدية لأشعار العشماوي في دواوينه المختلفة اهتمامه الشّديد بالقضيّة وجهده في تلمّس جلّ قضاياها التي عبّر عنها بلغة شعرية جمعت بين الإبداع والموضوعية وجعلت من الالتزام مُحكّما لها .

الكلمات المفتاح: القضية الفلسطينية؛ الشعر العربي؛ الشعر السّعودي؛ عبد الرحمن العشماوي؛ الالتزام .

Abstract:

The Palestinian cause is the epitome of steadfastness and resistance ... rebellion and revolution, it is the embodiment of all the concerns of rejection and the rebellious roar of liberation in the face of settlement, but rather in the face of the tyrannical, traitorous world of the human cause and the cause of the homeland, identity and Arabism. It is the land of the prophets, the cradle of messages, proud and wounded Palestine.

This is what this research paper aims for, by tracing the Palestinian issue and its manifestations in contemporary Arab poetry in general, and Saudi poetry in particular, relying on the poetry of Abd al-Rahman al-Ashmawi. Which he

* لونانسة لبنى : loubnalounansa@gmail.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

expressed in a poetic language that combined creativity and objectivity and made the commitment tight to it.
Keywords: the Palestinian cause; Arabic poetry; Saudi poetry; Abdul Rahman Al-Ashmawi; Commitment

مقدمة:

تعدّ القضيّة الفلسطينيّة بكلّ متعلّقاتها جرحا داميا لازال ينزف من جسد الأمّة الإسلامية من خليجها لمحيطيها، منذ 1948(وعد بلفور) إلى يومنا هذا، وذلك لعوامل متعدّدَة، أهمّها الابتعاد عن الهدف الحقيقي وهو إسترجاع الأرض وتحرير القضيّة وإتباع وهْم الاتفاقيات والوشاح الخادع للمقاومة والوحدة، هذه العوامل وأخرى كانت إبتعادا لتحقيق عدالة القضيّة وإسترجاع الأرض والوطن.

وقد إتّسع إدراك المفكّرين والشّعراء ممّن تفاعلوا مع القضيّة الفلسطينيّة، فحين عجزت مؤتمرات السّلام وجلسات حلّ القضيّة صرخت آهاتهم وتفجّرت خواطرهم فترجمت أقلامهم الحلول الجذرية التي بدأت بتعريّة الواقع المعيش، وهنا برزت أولى المؤلفات والدواوين الشعرية التي اهتمّت بالقضيّة وعرّت الصّراع الفلسطينيّ العربيّ والفلسطيني الإسرائيلي فمن كُتّاب مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر لصالح الأشتر(1961م)، إلى كتاب فلسطين والشعر لجميل بركات (1989م)، ومن الشعراء الأوائل الّذين نطقوا بالقضيّة وروحها نجد محمود درويش، سميح القاسم، عز الدين المناصرة وهؤلاء هم أبناء القضية والأرض، ومن الشعراء من كان قوميا ناطقا بوعي الأمة وروح الانتماء بغض النظر عن البلد والوطن نجد نزار قبّاني، عمر أبو ريشة، إلى غير ذلك من الأسماء، كلّ هؤلاء تغنّوا بالقضية ومجّدوها ودافعوا عنها وناصروها.

إنّ الأدب السّعودي لم يكن في منأى عن فلسطين وقضيتها العادلة، فقد حفّ شعره ونثره بالكثير من الأقلام التي حلّقت في سماء القضيّة لتشرب من عنفوانها وتأخذ منها العزّة والصمود، ويبدو هذا طبيعيا نظرا لسمة الالتزام التي يتّسم بها الشّعر السّعودي في عديد القضايا والمحاور الكبرى التي تهمّ الأمّة والإنسانيّة بشكل عام، ومن بين الأسماء البارزة نجد عبد الرحمن العشماوي الشاعر السعودي الذي خطّ لنا قصائد، بل دواوين تُعنى بالقضيّة الفلسطيّنة ومتعلّقاتها؛ والتي تتمثّل في: فلسطين الوطن، الهوية، الطفل الثائر بيده حجارة وراية قضية وأمة، فتاة أم لأبطال قادة من أمثال الشيخ ياسين ومؤسّسي فتح وحماس وكلّ من تجمعه راية الحريّة فوق الأرض الّتي تعدّ مهد الرسالات فلسطين الأبية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بناء على ماسبق؛ كيف تجلّت القضيّة الفلسطينيّة في أشعار العشماوي ؟ وهل قدّمت أشعاره صورة واضحة عن الواقع المؤلم المعيش ؟ وإلى أي مدى استطاعت أشعاره الإلمام بأبعاد القضيّة؟.

إضافة لالتزام الشاعر العشماوي، نراه يحاول الحفاظ على توازن الشاعر الملتزم المسلم الّذي يرى أنّ عِلمانيّة الأدب مرفوضة في ميزان العقل السليم، كما أنّ التنكّر لذات الأديب وعواطفه مرفوض أيضا ويبقى بعد ذلك التَّوازن بين ذات الأديب المسلم وواقعه، وهذا ما يميّزه عن غيره.

فقد ارتبط إحساس الشّاعر المسلم وأحداث أمّته وقضاياها ارتباطا قويا وهذا ما عبر عنه العشماوي في أحد دواوينه بإشارته إلى الذين يظنون الشعر ذاتيا مسجونا في عاطفة خاصّة لا يتجاوزها مخطئون، وهم في خطئهم كأولئك الذين يظنّون الشّعر كيانا مُفرَّغا من عاطفة صاحبه وإحساسه .

من هنا كان المنطلق والمبدأ الأساس لدى "**عبد الرّحمن العشماوي**" الأكاديمي السّعودي والشاعر الرِّسالي الذي جعل من قلمه ترجمانا لخواطره ناقلا لزِحامات تفكيره وتأملاته الوجدانية المتعلِّقة بهموم الأمّة الإسلامية وجراحاتها الّتي لا تزال تسحّ دموعا ودِماءً ودمارا هنا وهناك.

ولعّل أهمّ قضية برزت في دواوين العشماوي هي شرف الأمّة الإسلامية فلسطين الجريحة والقدس الشّريف مهبط الرسالات وأرض المعراج

يقول العشماوي:

والقدس أرملة يلفعها الأسى وتُمِيت بهجةَ قلبها الأحزانُ
شلّال أدمعها على دفَقاته ثار البخار فغامت الأجفان
حسناءُ صبَّحها العدوُّ بمدفعٍ تهوي على طلقاته الأركانُ[1]

لقد تبلورت صرخات الشاعر "عبد الرّحمن العشماوي" وآماله تجاه القضيّة في دواوين عدة منها: القدس أنت، على قمم النصر، إلى أمّتي، يا أمّة الإسلام، شموخ في زمن الانكسار، عندما يئنّ العفاف، جولة في عربات الحزن، كما نجد له قصائد تناولت القضية على جدارياته الالكترونية موزعة بين حسابيه في التويتر والفايس بوك وكذا مدونته الالكترونية وفي مواقع مختلفة منها حصص متلفزة موجودة في قنوات يوتيوب أو تسجيلات صوتية سجلها أو كانت مناسبات في نوادي وملتقيات وكذا محاضرات.

إنّ المتأمّل فيما ذُكِر أعلاه يلمس جليّا اهتمام الشّاعر بالقضيّة الفلسطينية وإيمانه العميق بانتصار القضيّة أمام الاحتلال الصهيوني ؛ فقد حاول العشماوي تلمُّس كل جراح القضيّة بتنوع اهتماماتها وتوزّع مشاكلها؛ فاهتمّ بالطِّفل الإنسان الثَّائر في وجه كل مُتصَهِين خائن لحقّ الطفولة في العيش بحريّة وسلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسلام، فالقارئ الفاحص لما كتبه العشماوي من قوافي الشعر سيلمس جليا معظم تجليات القضية الفلسطينية وأبعادها، والتي سنتتبعها بعدا بعدا وسأحاول أن أكون قارئا جادا لتلمُّسِ جلّ ما يرتبط بتجليات القضية الفلسطينية في دواوينه باعتبار أنّ عملية القراءة " ليست عمليّة سكونية مغلقة، بل هي ديناميكية... وكل قراءة لاحقة هي إضاءة للقراءات السّابقة"[2].

1- رمزية المكان، طهارة الأرض وقدسية الأقصى":

يُشكّل المكان أهمّ مستلزمات النَّص الإبداعي الموضوعاتية نظرا لما له من رمزية واختزال نصوص تخدم الفضاء الشعري بشكلٍ عام، ويذهب "**عبد الملك مرتاض**" إلى ضرورة التمييز بين المجال والمكان والفضاء والحيِّز فيقول" إنّا نميِّز بين المجال، والمكان، والفضاء، والحيِّز الذي آثرناه من بين المصطلحات كلّها للياقته ... إنّ المكان يعني الجغرافيا وأنّ الفضاء يعني الأجواء العليا الّتي هيّ سيّادة لأيّ بلد فيها والفضاء يعني الفراغ بالضرورة، أمّا المجال فقد يعني الحيّز الأعلى الذي يقوم فوق وطن ما والذي يكون في متناول الطّيران ...بينما الحيّز في تصوررنا واستعمالنا الّذي دأبنا عليه قادر على أن يشمل كل ذلك، حيث يكون اتجاها وبعدا ومجالا وفضاء وجوا وفراغا وامتلاءا"[3]، وإن كان هذا الطّرح يتّسم بالشرح والتحليل والتمييز اعتمد فيه عبد الملك مرتاض على تطورات الدلالة لكل مفردة في عصرنا الحاليّ، لذا نرى أنّ لفظة المكان أكثر رسوخا في الوعي الجمعي الأدبي الإبداعي مع أنّنا لسنا ضد التجديد والابتكار ومسايرة الحركة الإبداعية النقدية المستمرة في الزمن.

تعدّ فلسطين وطنا لكلّ الفلسطينيين ومجالا وفضاء، وجغرافيا تضم أمكنة طاهرة مباركة أصبحت ذات دلالات رمزية ايحائية ارتبطت بالحرية والصمود والسلام، فصبرى والأقصى وكنيسة القيّامة ودير ياسين ...إلخ أسماء أمكنة تجذّرت بل ارتبطت بروح المقاومة والصمود، روح الحب والسّلام، حب البقاء واسترجاع السيّادة والأحقيّة.

شمِلت القدس ما ذكرناه من معانٍ سابقة، لأنّها تعدّ رمزا دينيا في مختلف الأديان السمّاوية، كما أنها تحتل مكانة راقية في الوعي الجمعي نظرا لمكانتها القدسية والتاريخية باعتبارها مهد البشريّة ومهبط الرِّسالات، كما أنّها الشغل الشاغل في أهم اللقاءات السيّاسيّة قديما أو حاليا، إضافة أنّها تعدّ من أهم رموز السيّادة الفلسطينية وسفيرا رمزيا مكانيا للقضيّة المحورية –القضيّة الفلسطينيّة–.

يقصد بكلمة القدس لغويا البركة[4]، والطهارة، والمقدّس من لا ذنوب له، والقدّوس من أسماء الله الحسنى، فالقدس مكان طاهر قدّسه الله تعالى وطهره وبها قضى الله أن يكون بها المسجد الأقصى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله﴾ سورة الإسراء، (الآية 1) ، فقد حظي هذا المكان بالقدسية والطهارة والبركة والتّشريف أن كانت أرض المعراج إلى السموات العُلى والرُّقيِّ إلى سِدرة المنتهى عند الخالق البارئ.

ولعلّ أي دارسٍ للقضية أو أي شاعر متعايش مع روح الكفاح والمقاومة، لا يجد نفسه في منأى عن الحديث والبوح للقدس والتحدّث أحيانا بلسانها وجعلها قصّة شعرية تحفل بكل عناوين الحب والسلام والكفاح والصمود، ولعلّ ديوان العشماوي " القدس أنت" خير ترجمان لما ذهبنا إليه.

لقد ألهبت القُدس مشاعر "العشماوي" لِيخاطبها خطاب القلب الجريح المحبّ قائلا:

يا قدس يا حسناءُ طال فراقنا وتلاعبت بقلوبنا الأشجان
من أين نأتي والحواجز بيننا ضَعفٌ وفُرقة أمّة وهوان؟
من أين نأتي، والعدوّ بخيله وبرجله، متحـفّزٌ يقـضان؟[5]

إنّ القدس في وجدان الشاعر حسناء أسيرة مُتربّصٌ بها من كل جانب، لا سبيل للقائها وهي جريحة تبوح فتنشد:

لـكأنّـني بالقـدس تسأل نفسَها مـن أين هـذا الهاطـل الهتّـــان؟
من أين هذا البذلُ، ماهذا النّدى يَهْمي عليّ، ومن هم الأعــوان؟
هذا سؤال القدس وهي جريحـةٌ تشكو، فكيف نُجيب ياسلمان؟[6]

تنتمي هذه المقطوعة لمطولة شعرية بلغت أبياتها اثنان وثمانون بيتا اتخذت من النّون رويا لها ومن الكامل إيقاعا لها تعكس لنا انسجاما حواريا بين الشاعر كمحبّ مشتاق وحسناء جريحة تروم هدم أصنام الاستدمار وكسر أغلال الظلم بعزّة وشموخ.

ياقدس وانبثـق الضّيّـاء وغرّدت أطيارهـا وتـأنّق البـستانُ
ياقدس والتفـتت إليّ وأقسـمت وبـربنا لا تـحنث الأيمـان
والله لن يجـتاز بي بحر الأســى إلّا قلـوبٌ زادُهـــا القـرآن[7]

وحين كانت القدس الجغرافيا والمكان نجد الأقصى يعيد رسم طريقه لكل متعبّد مجاهدٍ شهيد:

أيّها الأقصى أعِرني أذناً حرّة تسمع أغـلى خـبر
إنّني أبصر كـفّا حملت درّة ليـست كـباقي الدّر
وأرى في قبـّة المجد رؤى فارسٍ يُغـلق باب الخور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأرى ملحمـــة تصنعـها فرقة من جيشنا المنتصـر
وأرى حطّين أخرى تمتمـــت بخـبايا غـدنا المنتـظـرِ
أيّها الأقصى سيطوي فجرنا ليل هذا الباطل المنتشر[8]

إنّ الأقصى وقُبّة الصّخرة وحطّين والقدس رموزٌ روحانيةٌ مقدّسةٌ توحي بروح الملحمة والبطولة لطيّ جِراح الأمل وتبديد ظلام الباطل لنشر تباشير غد منتظر.

وعليه فللمكان شاعرية وجمال تبرز في روحه وآماله ومضامينه الّتي تختزل إيحاءات مركّزة مكثّفة تجعله رمزا موحيا نظرا لأنّ له " عميق الأثر في الحياة البشرية إذ ما من حركة إلّا وهي مقترنة به وما من فعل إلّا وهو مستوح لبعض دوافعه منه، وهو أعمق وأكبر...ولعله ما من قرين للتجربة البشرية مثله، فهو عمادها ومطرحها ومغذيها، ومصبها ومنطلقها وهو ترجمتها أيضا "[9]، فالمكان هنا لم يصبح مجرد جغرافية معلميّة أو مجالا يحدد فضاء دولة من أخرى بل تجاوز ذلك ليحكي قصّة امتدت لآلاف السنوات، قصة الروح المؤمنة المتعلقة بباريها المتشبّعة بقيم البطولة والشّهادة المحطّمة لأصنام العبوديّة الخائنة والموقظة لضمير الأمّة الذي لا يزال نائما.

2- **اِستهجان السّياسات التّرقيعيّة مع المستدمر وتعريّة الخيانة المتواطئة:**

وجد "العشماوي" نفسه مسؤولا على تعرية السيّاسات التّرقيعيّة مع الكيان الصهيوني محاولا إثبات عدم فعالية هذه السيّاسات وأنّه لا جدوى من معاهدات السلام واتفاقياتها بل يرى أن ما أُخذ بالباطل والبهتان لابدّ أن يسترجع بالكفاح والمقاومة وما ضاع حق وراءه مطالب. فيقول:

دعـاة السّـلام يبنـون بيتـا ومحـال أن يكـمل البنيان
كيف تبنى البُيُوت فوق رمال؟ كيف تبـنى ومـالها أركـان؟[10]

المتأمّل لهذه المقطوعة نجد ثنائيةً لفظِيّة متضادة لا يقبلها عقل ومنطق وهيّ:

- البيوت.....القوة والمتانة
- رمال.....أساس رخو يهدّم ويحطم كل ما يؤسس عليه

أرأيتم في الأرض آثار بين ماله ساحة ولا جدران؟[11]

يصف العشماوي كل محاول أو راكض وراء السّياسات التّرقيعيّة أو واضع يده مصافحا لمن يدّعي السّلام وقلبه مفطور على الاحتلال و الاستدمار فيقول:

مـالهـم يركضـون في كلّ صـوب دون وعـي كأنّهـم عميـان؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ياعيـون السّـادات نامي طويلا فقـد اجتـاح قومـنا الإذعـان
ملّت الكـــأس شاربيها، وألقى سرجه الحرّ في الطريق الحصانُ
كلّ من سطّروا كتاب التّصدي مسحوا أحرف الكتاب ولانوا
وطُبـول الإعـلام تُقـرع فـينـا كـلّ يـومٍ، كأنّـنـا قـطـعـــانُ[12]

فالشاعر يجهر صراحة أنّ القضية باعها الضمير النائم الغافل، وتخلّت عنها الدول العربيّة تحت غطاء الاتفاقيات والمعاهدات التي تصدح بالسلام، وهنا نجد قصيدة له بعنوان:" وقفة على أبواب مدريد"[13] والتي يُعرّي فيها الرّضوخ العربي الذي يبعث على الذلّ والهوان ويتحمّل فيها العشماوي تقديم الاعتذار بألم وعتاب وغضب، ومن هذه القصيدة نجده يقول:

صارت إليك وفود العرب، في فمها بوقٌ، وبـين يديـها الـطّبل رنّـان
شامير يسخر منهـم، من تطلّعـهم إلى الـسّراب، ألا فلْيـروا ظـمآن
يابـؤسها أمّـة يسـعى بـحاجتها لصٌّ، وبـائع أفيـون، وسـجّـان
تـُدعى إلى ملتقى باسـم السّلام،ولم يُرْفع لهـا بين أهـل الملتقى شـان
يـا بؤسـها أمـّة، في الحـرب خاسرة ولا يفارقها في السّـــلم خسـران[14]

وهنا نلمس آلام العشماوي وكذا حسرته على التواطؤ والخذلان غير المقبول مطلقا والذي لا ينمّ عن روح الأمّة الإسلامية العربية في حقيقتها، فيقول متألّما:

يرحل الشّعر بي إلى القـدس، لكن كسـرت عنـد بابـه الأوزان
آه يـا قـدسـنا تـنـــكّر قـــومٌ وأبـاحـوك للعـدوّ وخانـوا
صنـعوا قـــهوة الخـضوع،فلمّا أتقـنوهـا، تـبرّأ الفـنجـان[15]

إلى أن يقول:

بحرنا اليـوم لجّـو من سـراب باع فـيهـا حيـاته الظـمآن
قـلب مسرى نبيّـنا يتـلظّى وعـلى وجـهه يثور الدّخانُ
وبـعينـه أدمـعٌ لا تسـلـني عندها كيف يصنع الفيضان[16]

3- **المرأة الفلسطينيّة الحرّة:**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرأة في الإسلام تقف على قدم المساواة في تحمُّل المسؤُوليّة جنبا إلى جنب مع توأمِها الرجل، الكلٌّ تناط له مسؤوليات وعلى قدر المسؤولية يعلو شأن حاملها، والمرأة هي حواء كما عبّر عنها العشماوي بأحرفه منشدا:

حواء في حياة آدم
تعني العطاء..
وما أعظم كلمة العطاء ...
حوّاء تعني الأمومة..
وما أعظم كلمة الأمومة...
حواء تعني السّكن.. والمودّة.. والرّحمة
حوّاء عالم له كيانه الخاص..
وعطاؤها يظل عظيما[17]

من هذا المنطلق نجد العشماوي منصفا في تقدير المرأة الفلسطينية الأبيّة في أشعاره ودواوينه، ليعدّد مآثرها البطوليّة وخصالها المستمدّة من وحي المرأة المسلمة المؤمنة التقِيَّة التي لا ترضخ لظالم ولا تركع لمستبدّ.

نجده بداية يوجّه تحيّة احترام وإجلال لحرائر فلسطين اللّائي أرضعن الصّمود والحريّة وحبّ الشّهادة لأبنائها لتحيا فلسطين وتعانق سماءها تسبيحات الأقصى وترنيمات كنائسها فيصدح مغرِّدا:

حيِّ النّساء فقد مسحن العارا وهـطلن غيـث بطولةٍ مـدرارا
حيِّ النِّساء وقفـن رمز بطولـة وغدون في ليل الخضوعِ منارا[18]

إنّ المرأة الفلسطينيّة لدى العشماوي ليست راضخة منكسِرة الهمّة باكية قابعة مستسلمة؛ بل هيّ المنارة التي تُنير دُرُوب الوطن بتجلياته وتُنير سبل البطولة لأبنائها وتكسر سيوف التجبّر في وجه المتصيهِن لتزيل آثار الاستسلام فتنشئ بذلك جيلا مقاوما طامحا في معانقة الحياة، فهنّ حين لمسن الرّضوخ والاستسلام أصبحن كاسرات للعدوّ، محطِّمات للقيود فيقول العشماوي:

لمـا رأيــن المعتــدين تجــاوزوا كل الحدود وحطّموا الأسـوارا
ورأين سيف الغدر يحصد جهرة أبــنائهنّ ويمســـح الآثــارا
ورأين أنصاف الرجــال توقّـفوا فخــيولهم لا تعرف المضمارا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورأين أمتـــهنّ تفـــتـح بابـها للغـاصـــبين وتخفض الأبصارا
أسرجن من خيل الشموخ أعزها وضربن من دون العدوّ حصارا[19]
ماسرن سير المستكـين، وإنّـــما ســـير الأبـيّ يـواجهُ الأخطارا
يحمين أشبال العقيدة حينما فتح العـدوُّ على البيـوت النارا
طيّرن في الآفاق صقر كرامةٍ مـن بعـد أن غـذّينه الإصـرارا
واجهن طاغية الزّمـان بِهـمّة ومـلأن غـزّة عـزّةً وفـخـارا
متحجّبات سرن في ألق الضّحى فغدون في وضـح النّـهار نـهارا[20]

إنّ القارئ لهذه القصيدة المدقّق لمعانيها وإيحاءاتها سيرى قوّة المرأة الفلسطينية التي حُقّ لها أن تكون عنوانا للقضيّة؛ ويظهر ذلك بصورة واضحة من خلال تتبع بعض مفرداتها.

الحريّة ← لما رأين/ أسرجن/ طيّرن/ ملأن.

رفض الظلم← واجهن/ يواجه الأخطارا.

العزة والإباء← واجهن/ نهارا/ يحمين أشبال.

منبع المقاومة← واجهن/ همّة/ ملأن.

الوقار← متحجّبات/ عزّة/ فخارا .

وغيرها كثير من المفردات التي لم نحصها نظرا لأنّنا بترنا من القصيدة أبياتا.

ممّا ذكرناه، نسجلّ حضور المرأة القوي في الشعر السّعودي عامّة وعند العشماوي خاصة، لتُجسّدَ في شعره حضورا وُجدانيا مرتبطا بالواقع العلائقي مع المرأة بشكل عام (الأمّ، الزوجة، البنت، الصّامدة والمكافحة) وحضورا رمزيا ينمّ عن التكامل والتّناغم في روح الحوار الشعري .

4- رموز المقاومة والإباء:

الملاحظ على العشماوي أنّه لم يختصر القضيّة الفلسطِينيّة في رمز واحد ذي نوع محدّد، والقارئ المتفحِّص يجد الرّموز تعدّدت وتنوّعت بين رموز وطنيّة وسياسيّة ورموز طبيعيّة متعلّقة بالأرض والأماكن المقدّسة في الأرض الطيبة على اعتبار أن بنية الرمز تملك طاقة تصويرية في الشعر المعاصر أكثر من الصور التقليدية من مرجع معين إلاّ أنّنا سنركز على الشّخوص الرمزية للمقاومة ذلك أننا تطرقنا للرموز الطبيعية المكانية في عناوين فرعية لهذه الدّراسة، وقد وجدنا حين تتبعنا للدواوين المختلفة الشخوص الآتية:

4-1- القائد المرجعية – أحمد ياسين_ :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إيه ياعسقلان، أحمد قلبٌ صامد ورأي سديد[21]

يبرز العشماوي أهمّ سمات الشيخ ياسين في دالية مطلقة يُخيّم عليها الودّ والاحترام، الإجلال والإكبار للشّيخ، ويستنطق العشماوي الرمز الشّهيد ليأخذ أبناء المقاومة من الأنموذج القُدوة أسرار الفلاح والنّجاح والوقوف في وجه الطغاة.

أيّها الشّيخ ما لعينك تهمي؟ ولماذا يطول منك الشرود؟
جالسٌ أنت والطّغاة وقوف وحواليك قد أقيم الجنودُ
أنا ياشيخ ما رأيتك إلّا داعيا من دعائه يستزيد
كلّهم خائفون منك لماذا أيخاف القعيدَ جيشٌ عتيد؟[22]

إنّها صورة وصفِيّة تّساؤلية والّتي منبعها الوقار الذي يشعّ من الشّيخ الرّمز المخيف أعداءه رغم الشرود والجلوس.

بعد هذا التّساؤل التعجبّي الّذي يبرز عظمة وقوّة الشّيخ الرّمز، وبعد إلحاح من الشاعر المعجب المتسائل يجيب الشيخ الرّمز أحمد ياسين ليُفصح عن سرّه:

أيّها السائل الملحّ لأنّي لائذ بالّذي إليه تعود
خافني المعتدي، وإلّا فإنّي أيّها السّائل الملحّ قعيد
أيّ نفع للجسم والقلب خاوٍ؟ أيّ نفع للجسم، وهو بليد؟
شللي لم يصب من الرّوح شيئا وبروحي أطير حيث أريد[23]

وحين تأمُّلِنا لهذه القصيدة المطوّلة ومحاولتنا التدقيق في معانيها توصّلنا إلى بعضٍ من أسرار الشيخ الرّمز وهي كالآتي:

- العبوديّة لله الواحد الفرد الصمد.
- التعلّق باللّه واللّجوء إليه أساس الإيمان ومواجهة العدوّ، فكل القوّة والمجابهة مستمدّة من الجبّار الذي لا يقهر الحيّ القيّوم.
- ما الجسد إلّا وعاء وقبضة من طين.
- العزم والشِدّة والاعتماد على قوّة العقل ونبض الرّوح.
- الإيمان بعدالة القضيّة سبيل لجعل العدوّ يركع ويرضخ.
- الجهاد والدفاع عن القضيّة سبيل للروح لمعانقة الشهادة والفوز برضوان الله عزّ وعلا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- إعلاء كلمة الحق في الحياة الدنيا رسالة من رسائل الشيخ الرّمز في الحياة.

و يختم الشّاعر بأبيات ثلاث وكأنّها خلاصة وزبدة الحوار مع الشيخ الرمز البطل؛ فيقول:

يا بن ياسـين، لا عدمناك شهما عن حمى قُدسنا الشّريف تذود
عش كريمـا، فإن تمّـت فرجـائي أن تقول الأمجاد: هذا الشهيد
قد يُسام التّقي في الأرض خسفا وعـلى الله نـصـره المـوعـود[24]

هذه واحدة من قصائد العشماوي التي تناول فيها الشّخصيّة الرّمز محاولا إسقاطها على واقع القضية الفلسطينية وجعلِ الشّخصيّة الرّمز مركز قوة وإيحاء بكل ما يزيد في إذكاء المقاومة في روح كلّ حر باسل مقاوم غير راضخ، فهي بذلك إبراز لأحد منابع القضيّة الّتي يرتوي منها أحفاد وأبطال القضية العادلة.

4-2- الطّفل الفلسطيني المقاوم:

إنّ شرارة النّصر القادم والحريّة المسترجعة لابدّ لها من انطلاقة وشرارتها الأولى متجذّرة في الوعي الجمعي للشعب الفلسطيني الذي يرضع منه الجيل الفلسطيني القادم المتمثل في الطفل الفلسطيني الرجل والطفلة الفلسطينة الأبية الحرّة، ونظرا لهذه الجرأة المتجذّرة في النشء الفلسطيني نرى أنّ العشماوي لم يُغفل ذِكر الطفل الفلسطيني المقاوم، فنجده قد عكس اهتمامه بهذه الشريحة الصامدة المواجهة في أشعاره ودواوينه الكثيرة، منها ديوان على قمم النصر .

يتحدّث العشماوي على لسان طفل فلسطيني ثائر مقاوم متشبّع بقيم رموز مقاومته:

فكّوا الحصار وحطّموا الأغلالا أو ما ترون القـتل والأهـوالا؟
أو ما ترون اللّـيل أسـود فاحما يُهْدي لـغزّة حسـرة ووبـالا؟
أومـا تـرون الغاصبين تـأوّلوا حتى رأوا قتل البريء حـلالا؟[25]

هذا الأبيات _ وإن كانت للشاعر_ تترجم وعي الطفل المقاوم في لحظة عتاب ولوم، فهو يعي القهر والقيد والحصار؛ فمرارة أن يرى الخيانة والتواطؤ التي عبّر عنا بطريقة غير مباشرة (فكّوا ...، حطّموا...) ، أمّا قوة العتاب اللوم تُجلّيها مفردة واحدة (أو ما ترون) تكرّرت ثلاث مرات هنا وفي أبيات أخرى من القصيدة_ لم نذكرها_ ونرى أنّ لهذا التكرار دور في تثبيت العتاب واللوم وتأكيد الرفض التام للخضوع والخنوع وكلّ أشكال الصمت والتواطؤ الخفي الخبيث الذي يترجمه هذا الطفل الصارخ بقوله:

مالي أراكم صامتين وحولكم رجي العدوّ يحـطّم الآمـالا؟
فكأنـكم تتـرقبون عـدوّنـا ليذيقـكم بعد النّكال نكالا؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكأنـكم لا تبصرون قـتاله أو أنّــكم لا تفهمون قتالا؟
إنّا لنطلبكم مواقـف شيمة أمّـا النِّزالُ فـلا نُريـد نِزالا[26]

ظاهرة التكرار هنا تعدّ تقنية أسلوبية تجلّت فيها " حركة تمتاز بالعذوبة والاستحباب وهذا ما يجعله يمتاز بالفنيّة والجماليّة المطلقة، إذ يتجاوز البنية اللّفظية إلى إنتاج فوائد ومرامي جديدة داخل أتون العمل الفنيّ فيحدث موسيقى بواسطة استحداث عناصر متماثلة ومواضع مختلفة من العمل الفنيّ كما يعدّ التكرار مرتكز الإيقاع بجميع صوره ويعمل على توطيده وتمكينه من معمارها فنجده ماثلا في الموسيقى يدعم تواترها وحركتها الانسيابيّة"[27]،.

إنّ لغة الأبيات تتّسِم بتدفّق موسيقي ساهمت الانفعالات الوجدانية والّتي تُرْجِمت في قالب تساؤلي استفهاميّ تعجّبي، فعكس هذا صدق العاطفة وجمال الصّورة، وقد تكاملت هذه الجوانب لتجعل القارئ يفكك شفرات القصيدة ليصل إلى صورة الطفل الفلسطيني الواعي، البطل، المتشبّع بقيَّم الوطنيّة والهويّة الإسلاميّة الرَّافضة لكلِّ أشكال الاستعباد الصُّهيوني التي تحرم الفرد من حريّته الّتي حباها به الله سبحانه وتعالى وهنا يحضرني قول عمر" متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

بعد استقرائنا للقصيدة السابقة، نجد نصوصا أخرى تجعلنا نلمس_ بصدق_ المكانة الراقية الّتي يوليها العشماوي للطفل الفلسطيني فهو بمدحه لهذا الطفل يتقرّب لله سبحانه وتعالى بقوله الصّريح " اللّهم إنّي أتقرّب بمدح هذا الطفل البطل الصّغير إليك "[28] حيث يقول في مطلعها:

أدهش اللّيل سرى من تحقرون فمضـى حـرّا وأنتم قاعدون
أنــطقت همّته صـمت الدّجى فروى عنه حديثا ذا شجـون
ومن الـصّمت لـسان ناطـق عاجز عن فهمه من لا يعون

إلى أن يقول:

هـل رأت أعيـنكم جبهـتـه أرأيتم كيف يسمو الصّامدون؟
لا تـقولوا: هـو طفـل، إنّه رجـلٌ يفـهـم مـالا تفهمون
هـو لا يغـفل عـن واجبـه لحـظة لمـا رآكـم تغفَـلون

لقد رأيت أن أدرج بعض أبيات هذه النُّونية المطوّلة التي بلغت ستّا وأربعين بيتا نظرا لكونها تقدّم للقارئ صورة شعرية متكاملة تجلّت فيها عناصرها من لون وحركة (يسمو، مضى حرّا...) ممزوجة بموسيقى وإيقاعٍ شعريٍ متناغم مظهرا ومخبرا، فانصهرت المشاعر و خواطر التّأثّر والإنبهار من دروس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البطولة والشَّهامة التي لازال الطِّفل الفلسطيني يقدِّمها، ولعلّ الغاية الخفيّة وراء نظم هذه القصيدة هي التي جعلتها تتجلّى في هذا الشكل المتناغم شكلا ومعنى.

5- **التَّنديد بالتواطؤ العربي والسّياسات الترقيعيّة:**

لم ينأ العشماوي بنفسه عن السّاحة السيّاسية وما يحدث فيها حول الشّأن الفلسطيني، بل عدّ نفسه ملاحظا ومشاركا فعّالا من خلال تتبّع كلّ المناسبات سواء ما أبدته المملكة العربيّة السعوديّة اتجاه القضية، أو ما كان يحدث تحت قبة الجامعة العربيّة أو هيئة الأمم المتّحدة، وكذا المؤتمرات العالميّة التي تُعقد هنا وهناك حول القضّية.

بناء عليه؛ نلمس العفوية والجرأة _المتواضعة أحيانا_في شخص العشماوي حيث يقول:

أنّى تنال العزّ أمّتنا إذا أعطت زمام أمورها غاويها
قف أيّها القلم الجريح فإنّني أخشى على الأسرار أن تفشيها
إنّ القصيدة حين ترسم خاطري فلِبدئها أثر على تاليها
هي صورة لخواطر فيّاضة أنا كاتب ومشاعري تُمليها[29]

فالعشماوي هنا؛ نجده بدافعية الالتزام التي يتصّف بها وكذا بفضل الوعي الذي وصل إليه قد أطلق العنان لخواطره والحرية لقلمه حتى وإن لم يسعفه الشعر في احتواء كل ما يجول بخاطره الفيّاض ومشاعره المتدفّقة، وعليه يمكن تتبع آراء الشّاعر في خطابه الشّعريّ التي تراوحت بين المدح والاعتزاز والفخر من جهة، كما تراوحت آراؤه السيّاسيّة بين السّخط وإعلان استهجانه لِما أبانته بعض السياسات التّرقيعية، كما شجب الصمت العربي والعالميّ وتجاهل القضيّة رغم عدالتها إنسانيا وقداستها دينيا بسبب ارتباطها الوثيق بالوعي الجمعي للأمّة الإسلامية، فيصرّح العشماوي قائلا:" أمّتي مسرحٌ لأحداث مؤلمة، وهدف لأعداء يتكالبون عليها من كلّ مكان، أمّتي مطعونة بسهامٍ كثيرة، وهيّ تحاول جاهدة أن تنتزع من جسدها الجريح تلك السّهام لتردّها قويّة إلى صدور أعدائها المسيطرين، وبعض أبنائها الغادرين .

أفلا يحِقّ لي بعد ذلك، أن أنصه في أعماقها، وتنصهر في أعماقي وأن تخرج بذلك قصائدي، وقد امتزج أحساس أمّتي فيها بإحساسي"[30]

ويتجلّى كل ما سبق في عديد القصائد التي وجدناها موزّعة على دواوين منوّعة، ومثالٌ عنها أنينه الصّارخ الصّامت حين يقول:

كيف ألقاكِ باسماً؟ وجِراحي وقفت دون ثغرك البسّام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كيف تنمو زهور قلبي؟ ودمعـي قطرات من اللّهيب الحامي
كيف أرضى بالذّلِّ مادمت حيّا نـابضا بالـهدى وبالإلهـام
أنـت جـزءٌ من الـفـؤاد فـأولى أن تهـزّي الـيقين في إلهامي

فهنا تصريح وجهر أنّ السعادة وإن أخذت تسكن القلب إلّا أنّ العقل والرّوح سيفضحان ذلك فالأقصى جريح وفلسطين باكيّة والسّلام أكذوبة، يقول العشماوي:

أكـذوبة السّلم التي خدعوا بـها قـومي بألـسنة المدافع تهـدر
عجبا أيرمي السّلمُ من أعدائـه وتصافح الكـفّ الّتي لا تطهر
يا هيئة الأمم الّتي وقفـت على جسر المذابح بالتجاهل تسكر
بنيت على جرف الهوى فبناؤها مـتصدّع، ويسـيرها مـتعـسّر[31]

نلمس هنا إخلاص الشّاعر وتمسّكه بالمبادئ الإسلامية وأصالته الصادقة على أن عملية السلام والصلح مع الكيان الإسرائيلي تحت قبّة هيئة الأمم المتحدة ليست من صالح الأمة وأنها تعتبر خطة يحيك خيوطها أعداء الإسلام والأمة من أجل سفك المزيد من الأرواح وتجاهل القضية.

ورغم هذه الآلام وهذا الاستصراخ والاستجداء، إلّا أنّ السّعادة والفرحة العارمة تزور الشّاعر فرحا بقدوم أبناء القضيّة إلى المملكة العربيّة السّعودية وكأنّه ينتشي شرفا بتقديم المساعدة لهم بقوله:

مرحبـا ألـفـا بأبطال صـغار أرسل المجدّ بهـم فـينا بـريده
هذه الأوسمة العظمى عليـكم صورة للوثبـة الكـبرى المجـيدة
من فِلسطين الجهاد الحرّ جئتم أنـفسـا مشقّـة الـرّوح سعيدة
مـرحبا جـئتم شمـوخا وصعودا في مدار نسي النّاس صعوده[32]

وإن كانت القصيدة في أبياتها الخامسة والأربعين تبدو مكثّفة في معانيها الممزوجة بالطرب والحُزنِ الخفيِّ الأليمِ، إلّا أنّنا نجد أنْفُسنا أمام تباين في المعنى وضعنا الشّاعر أمامه، ففي حين وصف الأبطال بالشُّموخِ والعظمةِ والبسالة إلّا أنّه يصف هؤلاء الأبطال الجرحى الوافدين على المملكة بالصغار، وهنا قد لمسنا بعض التناقض–كأنّه يناقض نفسه–وقد تُقبل هذه اللّفظة إن كان القصد منها صغار السنّ، وإن كان غير ذلك فإنّنا لا نجد له موقعا حسنا تطرب له النّفس وتألفه عند قراءة النّص كاملا.

خاتمة:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مما سبق؛ فإنّ القضيّة الفلسطينيّة كانت حاضرة بكل تفاصيلها ومتعلّقاتها في شعر العشماوي الّذي يعدّ واحدا من نماذج الشعر السّعودي الملتزم ذي الاتجاه الإسلامي والذي يُعنى بقضايا الأمّة ورِهاناتها، ولعلّ تركيزنا على الجانب التّطبيقي في دراسة نماذج شعريّة جعلنا نصل إلى أنّ الشاعر حاول إبراز مدى معايشة الشّاعر العربي المعاصر للقضيّة الفلسطينيّة فتناول متعلّقات القضية فنجده قد تطرق إلى المرأة الفلسطينية بمنازلها المختلفة في المجتمع الفلسطيني، وقد تجسّدت الرموز الفلسطينية في شخصيات قيادية أبرزها الشيخ ياسين والطفل الفلسطيني، وممّا توصّلنا إليه أنّ العشماوي لم يجد في نفسه حرجا من إعلان موقفه من السيّاسات التّرقيعيّة فوجدناه في مواقف تحليليه أعلاه مُعربا عن رأيه بصراحة وقد يكون هذا بدافع الالتزام كقيمة مرجعيّة معتمدة لديه؛ وهنا يمكننا إيجاز نتائج البحث فيما يلي:

-يعدّ العشماوي شاعرا مجيدا، قلمه ينبض بِتمثُّل قضايا الأمة الكبرى.

-تُعدّ القضية الفلسطينية رفيقة كلّ شاعر ملتزم بقضايا الأمّة.

-آلام القضية وجراحاتها لازالت قائمة وتبحث عن من يلملم جراحها .

-تتمثّل رؤية الشاعر للقضية الفلسطينية في معالجة كلّ متعلّقاتها: الأرض، والهوية والانسان الفلسطيني باختلاف تمثّلاته وأدواره في التّفاعل مع قضيّته الأولى استرداد الأرض وامتلاك الحرية من جديد.

-جنوح العشماوي إلى أنّ لملمة جراح القضية لا ولن يكون تحت قبب المؤتمرات بل بجيل مؤمن مجاهد.

هوامش:

[1] عبد الرحمن العشماوي، القدس أنت، العبيكان للنشر (الرّياض)، 2003، ص 56 .

[2]- خالدة سعيد، حركية الابداع ، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة (بيروت)، 1979، ص 60.

[3] عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد ، ديوان المطبوعات الجامعيّة بن عكنون(الجزائر)، د ت، ص 102.

[4] ينظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر(بيروت)،2000، ج6، مادة قدس، ص 168، 169 .

[5] عبد الرحمن العشماوي، القدس أنت، ص 58.

[6] م ن، ص 61.

[7] م ن، ، ص 67.

[8] عبد الرحمن العشماوي، القدس أنت ، ص 84 ص85.

[9] حبيب مونسي، المكان في الشعر العربي، منشورات اتحاد العرب (دمشق)، 2000، ص 7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[10] عبد الرحمن العشماوي، عندما يئنّ العفاف، العبيكان للنشر(الياض)، 2003، ص 93.

[11] م ن، ص ن .

[12] م ن، ص 94.

[13] م ن، ص 28.

[14] م ن، ص 30

[15] م ن، ص 92.

[16] م ن، ص 93.

[17] عبد الرحمن العشماوي، ديوان إلى حواء، العبيكان للنشر(الرياض)، 2005، ص 7.

[18] عبد الرحمن العشماوي، ديوان على قمم النصر، العبيكان للنشر(الرياض)، 2012، ص 47 .

[19] م ن، القصيدة نفسها ص 48 .

[20] م ن، القصيدة نفسها ص 48 .

[21] عبد الرحمن العشماوي، ديوان عندما يئن العفاف، ص 128 .

[22] م ن، ص 128 ص 129.

[23] م ن، ص 128.

[24] م ن، ص 128.

[25] عبد الرحمن العشماوي، ديوان على قمم النصر، ص 76 .

[26] المصدر نفسه، ص 76- 77 .

[27] عبد اللطيف حنّي، نسيج التكرار بين الجماليّة والوظيفة في شعر شهداء ديوان الشهيد الربيع بوشامة نموذجا، مجلة علوم اللغة العربية آدابها، جامعة الوادي، كليّة الآداب واللّغات، العدد الرّابع، مارس 2012، ص7.

[28] عبد الرحمن العشماوي ، ديوان على قمم النصر. ص 14

[29] عبد الرحمن العشماوي: ديوان على واجهة القرن الخامس عشر، ص 35.

[30] عبد الرحمن العشماوي: المصدر نفسه، ص36.

[31] عبد الرحمن العشماوي، ديوان إلى أمتي،العبيكان للنشر(الرياض)، 2007، ص 98.

[32] عبد الرحمن العشماوي، ديوان القدس أنت، ص 148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com